

وفي التعليم الثانوي ، ما دامت الدولة لم تحرر مجانيته الكاملة ، فليس لا تقبل النسبة المقررة المجانيين ، وتغلق الحال الباقية بالراغبين في التعليم على نفقتهم ؟ ولم يختار الجميع على أساس التفوق ، وقد ينجلي الأمر عن عجز أكثر القبولين عن دفع نفقات التعليم إذا إنانا معجبون بالروح الكريم الذي أمل على الحكومة انتهاء هذه العامة ، ولكننا كنا نحب أن نسل في تنفيذها خطة التدرج ، ما دامت الظروف لا تسمح لها بتعميمها على الجميع وإيجاد الأماكن لكل الطلاب .

أخشى ما نخشاه أن تكون الحكومة في حرصها على إنصاف الفقراء وإراحة القرض التعليلية لهم ، قد حرمت القادرين من التعليم ، ولم تدخل في حسابها إنصافهم وعدم الخيلة بينهم وبين التعليم الذي كان مستور لهم .

ولعل هذا الزاعم الشديد على المدارس يكون حقاً ؟
أولاً : فمن أين أتى أن عُدتها لعام القبل ، وترتب الحل الثاني : فبما كانت التعليم المنقطع على المدارس ، وإراحة الآباء من لم يدير أمراً أن في المدارس لأبنائهم .

ويسوقنا الحديث من التلاميذ إلى مشكلة المعلمين . قيل إن الوزارة قد اضطرت تحت ضغط الحاجة إلى تعيين معلمين من خريجي السكيات التي لم تدأبها للتعليم ، كترجيبي الزراعة والتجارة وغيرها . ولا غير ذلك ، وما وقد نزلت هؤلاء بدرجة تكميلية في السيف في التربية وأصول التدريس . ولكن هذا الأمر يثير التفكير من ناحية أخرى : إذا كانت البلاد لا تحتاج هؤلاء الخريجين فيما أعدتهم له من التعليم الزراعي والتجاري وغيرها ، وكانت حاجتها الشديدة هي المعلمين ، فلم لا يوفر على هؤلاء سلوك هذا الطريق البعيد ، ولم لا يختصر السبيل ويعدون من البداية لتلك المهنة ؟ وبعبارة أخرى ، لم لا تنقضي الوزارة كلية أو كليات للتعليم ، تستوعب عدداً ممن يشتغلون على مختلف السكيات ثم لا ينتفعون أخيراً بما تعلموه ، ويجاون لجنة التمام ؟

تدافع الناس وذعرهم ، وتنظم التوزيع في أمر البترول والسكر والشاي والأقمشة الشعبية . ولكنها وفقت عند ذلك ، ولو سارت في سياستها إلى النهاية ، وحضرت كل الحاجيات الأخرى ونظمت توزيعها ، لتكفت الناس ما يلقونه من عت التجار ، واضطراب الأسعار ؟ ولو وفقت نجاح السوق السوداء التي يلجأ إليها الضعفاء حين لا يجد في السوق المشروعة سداً لحاجته .

وفي شئون التعليم ، انتهجت الحكومة سياسة ديمقراطية خيئة ، فجعلت التعليم الابتدائي بالجمان ، وجعلت القبول بالمدارس الثانوية لأفضل المتقدمين نجاحاً ، قدر على دفع مصروفات التعليم أو لم يقدر . ولا شك أن الروح التي أوحى إلى الحكومة هذه الخطة روح وطنية نبيلة ، ولكن تنفيذ هذه السياسة الحميدة قد خلق صعوبات جديدة ، كانت تستحق أن يحسب لها حساب ، وأن نجرب لها الحلول .

ففي المدارس الابتدائية صبح ما توقع بعض التفكير من أن تحرر المجانية سيفعزها بسبل من الطلاب ، سواء ما فيها من تلاميذ المدارس الأولية الذين دفع لهم المبالغ المحظورة ، وأصبحت لهم الفرصة بملوك الطريق المؤدى لأعلى درجات التعليم ، فأقبلوا عليه جموعاً ، وزحموا أبناء الطليقات الوسطى والعالية . وقد يكون للأوليين حظ التفوق على أولئك في مدارس الحكومة والمدارس الحرة ، واحتلال مقاعدها ، فإن يذهب الآخرون ؟ قد يقال : لا شأن لنا بهم . فشان من يكون ؟ إن من العدل أن تختص الدولة النابهين من أبناء الأمة بالتعليم على نفقتها ، ولكن هل من العدل أن يلقى في الطريق بغيرهم من الراغبين في التعليم القادرين على احتياك نفقاته ، وليس بالبلاد مدارس خاصة تتسع لهم ؟ أليس من العدل أن تعلم الحكومة هؤلاء على نفقتهم الخاصة إلى أن تسمح لها ميزانيتها بإيجاد الأماكن السكافية للتعليم الجميع على نفقة الدولة ؟

مارى باشكيرستف

كانت حياتها على هذه الأرض قصيرة ، مثل أعذب أحلام الحياة ، فقد انقضت عمرها كما ينقض عمر الورود . ولدت في أكتوبر سنة ١٨٦٠ ، وتوفيت في الحادى والثلاثين من أكتوبر سنة ١٨٨٤ .

وكانت بيمضاء اللون ، شقراء الشعر ، مرتفعة عظام الخدين ، فارغة الوجنتين ، قصيرة الأنف ، رفيقة الشفتين ، عميقة النظرات ، لها عينان شيطان كعيني المموم .

وهي حليمة الجمال غريزوريفتش باشكيرستف ، وكانت من جلة أبطال سباستوبول . قرأت أرسطو ، وأفلاطون ، ودانتي ، وشكسبير ، وهي لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها ، وحفظت « هوراس » وقرأته من

لقد يبدو شيء من التناقض بين سادس أوزار في توسيع التعليم ، وسياساتها في تضيق مفاصله خارج الدارين ، فاعلمنا أن تميد النظر في هذا الأمر وتولية ما يستحقه من عناية .

بقى الكلام عن ضغط الجماهير على دواوين الحكومة ، و تراهم على مختلف مكاتبها ، وهي ظاهرة مؤلمة ، أساءها اعتقاد الجمهور أن مسائله في الحكومة لا تنجز إلا إذا سار بها خطوة خطوة ، ولجأ إلى مختلف الوسائل لحل من يدهم مسألتهم على التجميل بها ؛ ولا شك أن هذا الضغط يسبب اضطراباً شديداً في الأعمال ، ويغلط الموظفين من خصص المسائل بدورها ، ودرس ما يحيط بها من ملائسات في جو هادئ ؛ وهو فوق ذلك يشغل هؤلاء الموظفين عن كثير من شئون العمل الهامة ، ويضيع كثيراً من أوقات غيرهم من لا علاقة لهم بتلك المسائل الخاصة ، ممن يلجأ إليهم الجمهور للاهتمامة بهم على من يدهم شئونهم .

وعلاج هذه الحال لا يكفى فيه تحديد مواعيد لقابلية ذوى الحاجات ، فهذه الواعيد لا تحترم ، ولا يعدم الجمهور

ظهر قلبها . وكان إجماعها لا ينقضى بشعر « هومير » ، وقد قالت فيه : « لا يستطيع أحد أن ينفلت من عبادة الأقدمين ، فلم تترك في مأساة مدبنة ، ولا قصة طريفة مما كتبه دوماس ، أودبته برام جورج ساند العزيرة ، مثل الأثر العميق الذى تركه في نفسى وصف الاستيلاء على ملروادة ؛ حتى كان يحيل إلى أفى أشهد القضاة ، وأسمع المويل والصباح ، وأرى النار نالهم تلك البلاد » .

وكانت ذا كرتها مستودع الكتب والروايات على اختلاف أنواعها ، ولذلك كانت هي واسعة الاطلاع ، غزيرة المادة ، ينفث في صفحة ذهنها ما استفرغته من أوعية شتى ، ويرسم على لوح حافظتها ما وعته من مختلف الكتب والروايات . وقد شغفت بالسباحة والتنقل ، فكانت تطوى الزاحل وتجوب الأمصار ، وتنظم حاشيتي البر والبحر ،

الوسيلة لتعليمهم ، ولكن علاجها أن يسر الموظفون على نظام دقيق لا يخطونه لأنى سبب ، يعلمون فيه المسائل لدورها دون تأثر بأى اعتبار ، وأن يكونوا أسرع إنجازاً لما بين يديهم من الأعمال ، حتى ينشئ الجمهور بأن النظام العادى كفايل بإراحة الجميع .

إلى هنا كان كل ما ذكرناه من علاج لتخفيف تراحم الناس هو ما يستطيع الحكومة أن تفعله ؛ ولكن من الحق أن الشعب يستطيع أن يفعل كثيراً من جانبه لتخفيف متاعبه . فهو يستطيع إذا راض نفسه على النظام واحترام حقوق النير أن يحول دون التدافع ، فلا يتخطى أحد من سبقه ، ولا يجوز أحد على حق غيره .

وهو يستطيع ، بالتعاون ، أن يقف في وجه الجشعين والتلاعبين ، ويجعل دون منتهى الفرس وقصاص الغنايم في أوقات الأزمات .

وهو يستطيع أن يعاون الحكومة في ترسخه من خطط بالإخلاص في اتباعها ، وتقديم ما تتطلبه الحاجة من

تضحيات

في رومه ، وإيريس ، وثينه ، وبرلين ، وبرج (إذذاك) دون أن تستطيع التخلص من العنجر الذي يرمث به ، واستحوذ على حياتها الفنية ، وجعلها مبررة الذات خاوية الوفاض ؛ ومما يؤثر عنها قولها : كل ماليس أليماً في هذا الوجود فهو مخيف ، وكل ماليس سخيفاً فهو أليماً ١١ . ومع ذلك فقد كانت شديدة التعلق بالحياة ، وتقول : « إنني أحب الحياة وأستبغ كل شيء فيها حتى الدموع وحتى الألم » ١

وقد قصرت نفسها على التصوير ، واستنزفت أيامها في معاناته ، وأثقلت له ذرعها منذ سنة ١٨٧٧ ، فجلته مراد أمانتها وحديث أحلامها ، وسلكت كل سبيل إلى مبلغات النجاح فيه ؛ وقد خلفت طائفة من الرسوم والتفوش وكأنها قطع من جمال الطبيعة وجلال الحياة ، تريد أن يغدا إلى حياة الناس ليزدادوا بالحياة إحساساً وبالطبيعة استفادة ، وإذا الماني العليا والغدائل اللامائية في صورها تجعلها حياً إليها ، وإن كان قد مضى من قبل الخلق الرسامين . وقد أصيبت بالصمم في تلك الأثناء ، واشتد عليها مرض السل الذي أودى بحياتها في النهاية ، وقد كتبت تقول : « لم يخلقنا لتألم ، وإذا كان هو الذي خلقنا ، فمَن خلق معنا السكاره والآفات واليأس ؟ إنني لئن أراء من داني العضال ، وسببق بيني وبين العالم حجاب دائم ، فلا أسمع حفيف الريح ، ولا تساقط المياه الصافية ، ولا خرير الغدران المذبة ، ولا فطرات المطر على الزجاج ، ولا رنين العبارات التي يذيعها المحسن » ١

ثم شعرت بأن الداء يتأكل قلبها ، فصاحت وهي تتحرق قائلة : « حبيذا لو أمكن أن أعيش عشر سنوات أخرى ، لأنه إذا أتيسر لي أن أحيى إلى الثلاثين من عمري ، فاني أكون قد حيت إلى الأبد » .

وإذا كانت الحياة تفرغ منها كان ولعها بها يعظم ويربو ،

فالفنون والموسيقى ، والتصوير ، والكتب ، والبأس ، والترف ، والتنمية ، والصمت ، والحزن ، والألمى ، والحب ، والشغف ، وفصول السنة الأربعة ، وسهول روسيا ، وجبال ناي ، والثلوج ، والمطر ، والندجوم ، كل ذلك كانت تحبته غابة الحب ، وتعجب به ، حتى الموت عيته كانت تهواه ، مع أنها قد تهيبته

ولما عارض المرض أملاءها بالبأس ، وكشف لها بوق مناهها عن سحاب خلب ، وشوة إليها وجوه أمالها ، وعابت الحقيقة وجهها لوجه ، قالت : « سأدخل غداً ، وأقبع في جوف الثرى ، ونقب معي كل آمالي وأمانتي وأنا لا أعود الراجعة والعشرين من عمري » ١١

وفي يوم ملأ الضباب جوه ، لفقت أنفاسها الأخيرة ، وكان موتها أشبه شيء ، بأخر ما جرت به ريشتها قبل وفاتها قليل .

وكان لها يوميات رائعة ، قال الكاتب الفرنسي أناتول فرانس في وصفها : « إن الذي يقرأ يوميات ماري باشكبرستف ، يحسب إليه أن نفسها الكبيرة لا تزال حية ، وأن طيفها يسير منتقلاً بين شعورها وهو يتوه بأفصح الآمال » : ولا يجب أن كانت قد وشتت تحت أعباء الأمانتي المخططة ، وأنفصال الأحلام غير المحققة ، لأن الأمانتي الضائعة والأحلام المرائلة لا تموت ، ولكنها تسكن في فراة النفس ، ولا يستطيع صاحبها أن يتخلى عنها أو يجتهد بها ، بل يستبقها ويتألم في سبيلها .. وكانت في أنها مستبسة ، ولأمانتها وقية ، لأنها كانت تبغى القيام بجلائل الأعمال في عالم الله الواسع ، عالة أنه كلما اشتغل العقل ، ولهج القلب بما في هذا الكون من الأمور النبيلة الجليلة ، قلّت آثرة الإنسان ، وعظمت غملمته ، مهما يمرض لنا من التناوب والعموم ، والنواب والسقام ، في هذه الحياة .

الزهرة

ستالين القائد

كان ستالين قد أعدته أنه كما يكون واعظاً بشرى
بدين المسيح ، فخرج من مدرسة الكنيسة تأثراً بشعر
عذهب كارل ماركس الشيوعي ، وبتحرف إلى طريق
الثورة ، ولسجن وبيق ، ويعود من اللقي ليبدأ سيرته
الأولى ، ولسجن وبيق من جديد .

ولم يكن محباً أن تأخذ هذه الثورة بيده إلى قمة النفوذ
والسلطان ، حيث يستقر في مقر القياصرة فيصراً غير
متزوج ، يسطر لإرادته في حرس السكره الأرضية مساحة
وما يبادل عشرها سكاناً ، ولكن العجب حقاً أن يصبح
هذا الرجل العجيب عبقرياً في الحرب كما كان في الثورة ،
وقالداً مظراً فيها كما كان زعيماً مبرراً .

ووجه العجب ، أوجه الإحجاب ، أن ستالين لم يدرس
فنون الحرب في مدارسها ، ولم يهتم بالخطط والخطط
ولكن داته مواهبه الفاترة على مواطن الفتي في الحرب
الحرب فحذقها ، وطمحن دروس الحياة القتالية على الأصحاب
الواقع فلم يخطئ الحساب ، وقادته بصيرته الفاذة إلى
مواطن القوة أين تكون فاستلها ، وعلى مهابط الضعف
أين تقع فتسكها ؛ وهكذا نقل ميدان الحيلة إلى ميدان
الحرب ، وص فيه عصارة مواهبه وتجاربها فأطاعت ،
واستطاعت أن تجعل منه النظام والقائد المنتصر .

كانت الثورة أول دروس الحرب التي تلقاها ستالين ،
فقد كان عليه أن يدير المظاهرات والاضطرابات ويديرها ،
وكان عليه إذن أن يعمل حسب الشرطة وفرسان
القوزاق ، وكيف يتصمم منهم إذا هاجموه ، وكيف ينتصر
عليهم إذا هاجهم .

وقد اشتبك فعلا مع الشرطة في مزاك كثيرة أثناء
قيام هذه الاضطرابات ؛ وقد انتصر عليها في معركتين
هائتين :

كانت الأولى في سنة ١٩٠١ . وكان قد قاد مظاهرة
من العمال في باطوم ، وفقرت الشرطة ببعض المظاهرات
وقبضت عليهم وسجنتهم ، فأبى ستالين أن قاد مظاهرة
أخرى اشتبك بها مع الشرطة في معركة حامية حتى
استخلص المجنوبين .

وكانت الثانية في شهر مايو سنة ١٩٠٥ حينما دبر مع
صديقه (كامو) خطة للاستيلاء على أوراق نقدية مرسلة
إلى بنك تقيس ، وفي الموعد المحدد ، وحينما كانت الأوراق
في طريقها إلى البنك تحرسها قوة من القوزاق ، برز كامو
في رزي ضابط واشتبك مع القوة الحارسة ، وقتل هو
ورفاقوه ثلاثة من رجالها ، وقار بالمال .

وفي سنة ١٩٠٥ انتظمت روسيا كلها ثورة جامعة ،
وكان ستالين إذ ذاك في القوقاز ، واستطاع القوقازيون
بتدبيره أن يزجوا بمظاهر الحكم القيصرى عن بلادهم
ثلاثة أشهر ، فكانت هذه الثورة هي أولى الحركات
الحزبية الحاشية التي أدارها ستالين ، كما كانت الدروس
الأولى التي تعلمها في فن الحكم .

وقد أدرك ستالين - وكان في المهجر - عقب هذه الثورة
أن الثورة العامة قد صارت وشيكة ، وأن على الحزب
الشيوعي أن يمد وأن يستعد لها ؛ فأوحى إلى ستالين أن
يجتهد الرقاق ، وأن يوفدكم إلى زميله كراسين ليتولى أمر
تدريبهم عسكرياً ، وكان هؤلاء الرفاق الثورة الأولى
للجيش الأحمر .

وجاءت ثورة سنة ١٩١٧ التي أطاحت بعرش القياصرة ،
فكان هؤلاء الرفاق هم عصب هذه الثورة ، ولكن
كيرنسكي اغتلس الحكم من رجال الثورة هؤلاء ، حيث
كان لينين في المهجر ، وستالين في اللقي . فلما عاد ستالين
دبر خطة عسكرية وجهها إلى حكومة كيرنسكي ، فأزاحها
سرياً دون أن تراق القدماء .

وإلى حسن تدبير ستالين الدقيق الحكم في هذه
الحلة ، لم يتمكن كيرنسكي من أن يشيرها حرباً أهلية ثانية

نقضى على الثورة ، وعلى نتائجها .

وقامت بعد ذلك الحرب الأهلية (١٩١٧-١٩٢٠) بتحرير من الألمان أولاً ، وبشجع ومساعدة الحلفاء . ثانياً ؛ فإن الألمان كانوا قد وعدوا الأوكرانيين بمساعدتهم في إنشاء حكومة مستقلة ، وكان الألمان يرحفون إذ ذاك صوب (كييف) ، فأصدر الزعيم الأوكراني (رادا) نداء دما فيه إلى مساعدة الألمان لطرد الشيوعيين من أرض (الوطن) ، واستجاب الأوكرانيون لنداء الزعيم ، وألف الجنرال كاليدن جيشاً من فلول الجيوش القيصرية ، وقام قوزاق المونن يؤيدونه ، وبدأ بدأت الحرب الأهلية . وخرج الألمان من الميدان لأنهم كانوا قد عقدوا مع البلشفيك معاهدة رست ليتوفسك في ١٩١٨/٣/٣ .

ورأها الحلفاء فرصة سانحة للتدخل كما يجبروا ألمانيا على الحرب في جبهتين ، وليقتضوا على البلشفية قبل أن يمتد خطرهما .

واستطلاع الحلفاء أن يشنوها على البلشفيك حرباً حامية تلاحقهم أخطارها من كل صوب . وفي الجبهة الغربية جيوش كاليدن وقوزاق الدون . فلما سحقهم القائد البلشفي (ايليسكز) عاد القوزاق فتجمعوا تحت قيادة (كرانسوف) ، وظهر جيش الجنرال دينكين كذلك - وكان هذا قائداً موغريباً - يقود جيشاً قوياً مجهزاً ، فاستطاع أن يتقدم إلى أن حاصر تسارنيزن (ستالينجراد) ولم يفلح فورشيوف في الدفاع عنها فأخلها .

وفي هذا الوقت ظهر جيش الأميرال حكوشاك في الشرق ، وانسابت كذلك جيوش الحلفاء من منورمانسك . وقد نجح (بلوخر) في أن يبدد جيوش حكوشاك . ولكن دينكين زحف صوب موسكو ، حتى شارفها ؛ وكان ستالين يتولى القيادة في هذه الجبهة ، وهي أخطر الجبهات ، ليرواجه أخطر القواد وأخطر الجيوش . وأدرك ستالين أنه لا يستطيع مواجهة دينكين على ملول

الجبهة فكان يجمع جيوشه في نقطة واحدة يراها أضعف النقط في خط جيوش دينكين ، ويضرب بها ضربة قاصمة ، ثم يفرق جيوشه على طول الجبهة لتقاوم ما استطاعت ، ثم يجمعها مرة أخرى ليختار نقطة ضعف أخرى يضرب فيها ضربة ثانية ، وهكذا حتى أضعف جيوش دينكين واضطره إلى الانسحاب .

ولكن الخطر ظهر من جديد ، فقد جهز الحلفاء جيشاً جديداً ، وأولوا قيادته الجنرال (بودونين) ، وفي الوقت نفسه كان (دينكين) قد أعاد تنظيم جيشه ، وزحف يؤيد بودونين ، وواجهتهما معا بتروغراد ، وفي مواجهتهما ستالين أيضاً ؛ وبينما كان الجيشان الراحقان يستعدان للمعركة الحاسمة فجأهما ستالين وبدد شملهما .

وكان ستالين في هذه المعركة قد خالف أوامر اللجنة المركزية وأوامر لينين ، التي كانت تشير بعدم اشغال القوات البلشفية في ميدانين معاً ، ولكن ستالين ، كعادته ، كان لا يحد من أوامره ما دامت لا تتطابق مع الظروف ، وكان لا يفرق بين القتال فيها بحتملا التسوية ، وهي مسئلية كبرى لو أدت لخالفها إلى وقوع ما كان يخشى وقوعه . وعاد دينكين يكتوّن جيشه من جديد ، فأعلن التجهيد العام في أوكرانيا ؛ ورأى البلشفيك أن يبدأوه بالمعجم ، لكن ستالين أمر على أن يمحوا حتى يتمم الفلاحون المحتدون حديثاً في جيشه ، وليجمل منهم نقطة الضعف التي يهاجمها منه .

وفي الوقت نفسه أمد الجيش الأحمر بفرق الفرسان ، لأول مرة في تاريخه وباقتراح ستالين ، وولى قيادتها (بودين) .

ولقي دينكين نجاحاً في أول الأمر ، فقد زحف بقواته من أوديل إلى كيرسك ، ومن هذه استولى على (قودونز) وصار على بعد مائتي ميل من موسكو . ولكن ستالين لم يلبث أن وجه بودين بفرسانه ليشيك مع فرسان دينكين

وأعطته سلطة غير محدودة لاتخاذ ما يراه لازماً . وتتقدم ورائه واستدرجه ستالين حتى يمد عن قواعده فاقص عليه وألحق به هزيمة قاسية . وبهذا انتهت الحرب الأهلية . وانتهت في شبه معجزة ! فالجيش الأحمر كان فقيراً في كل شيء ، في التدريب والمعدة والقيادة ، وكان يستمد ظهوه إلى روسيا البيضاء التي جربتها الثورات والحرب وفساد القيصرية ؛ بينما كانت الجيوش الأخرى غنية بكل شيء ، بالتدريب ، وبمئات الخلفاء ومالهم اللذين لا يفدان ، وبقواد حذقين من أمثال دينكين ووراجيل . ولكن هذا النقص في الجيش الأحمر كان بكله شيء واحد ، هو ستالين وسيره وإيمانه وثأب بصره ، وحكمه العميق ، السلام على الأسياح والتنازع .

قال « كاجونفش » أيامئذ : « لقد كان كل شيء يدعونا إلى التراجع ، ولكننا لم نقر لأن ستالين قال : سنبصر ! » أما أن قيادته في هذه الحرب موضوعه مقال آخر .

ابراهيم نزيه الرينة المحامي

بينما كان هو في الوقت نفسه يهاجم قوات دينكين من الناحية الضعيفة فيها حيث الجنود الجدد ، واستطاع أن يوقع في صفوفها الاضطراب . وهكذا ارتد دينكين نحو نوفوريسك (ميناء على البحر الأسود) .

وكان على ستالين أن يتبع دينكين ، وكان ستالين عند ذلك في تساريتزن ، فكان طبيعياً أن يختار الطريق المستقيم القصير الممتد بين البلدين ، ولكنه أدرك أنه يقوم في وسط هذا الطريق مناطق ناعدي البلشفية ، وأن أقصر الطرق إذن هو أسهلها ولو كان أطولها ، ولذلك اختار الطريق من تولا إلى نوفوريسك حيث يمر عنانج الدوتير وبخار كوف ، وهما منطقتان يشهاهما العمال المناهضون للبلشفية ، وهكذا قضى نهائياً على دينكين . ولكن الخلفاء أعدوا مع هذا جيشاً آخر قوياً بقوده قائد آخر موهوب كذلك هو الجنرال (وراجيل) ، فوكلت اللجنة التنفيذية إلى ستالين مجابهة هذا الخطر الجديد .

تظهر قريباً :

الطبعة الثانية من كتاب

النجوم في مسالكها

تأليف

سيريموس مينز

ترجمة

الدكتور اصمغر عبد السلام الكرواني بك

مواقف حاسمة

في تاريخ الاسلام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

فيه عرض لطائفة من أعظم المواقع الحاسمة بين الشرق والغرب ، والإسلام والنصرانية .

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر - شارع الكرداني عابدين - ونعته ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد .

الأدب العربي المعاصر

وغايته من تراجم المعاصرين

بعضهم يقوم بإحياء تراث المتقدمين من رجال الفكر والأدب والسياسة، وجملة تلك المصنوع الفائرة بما تخلقه من ثقافات وتيارات أدبية. أما تراجم الأدباء المعاصرين فلا تخلط منهم بكثير عناء واهتمام، مع أن مثل هذه الدراسات لحولاء المعاصرين شغى بها من قبل الأدباء والمفكرين في الغرب، ويحمل مكاناً مهماً لديهم.

في أوروبا وأمريكا لا عوت أحد الشعراء أو الأدباء وكل من له أثر ملحوظ في الثقافة العامة، إلا ويقوم الطابع بعد فترة قصيرة لا تتجاوز أشهراً بإخراج عشرات الكتب التحليلية لشخصية هذا الشاعر أو الأديب، ودراسته من كافة نواحيه، مؤرخة بهذه الوسيلة أدب العصر وتياراته المختلفة وأنوان الثقافة العامة. وترى السكتاب المعاصرين يخصص كل منهم بدراسة ناحية هامة من نواحي هذا الشاعر أو الأديب، والمناصر التي اجتمعت في إنتاجه فكوت منه شخصية أدبية مرصوفة لها خصائصها التي امتازت بها في عصرها، وتكون للأجيال المقبلة رؤية أدبية شاملة، تسكون من أحسن المراجع وأصدقها لحولاء الأدباء والأدب المعاصر.

لذلك نشاهد أن القسم الكبير من أدبنا البازين عندما يبحثون في الأدب الغربي والأدباء اللامعين فيه، يبرزون لنا صوراً واضحة المعالم، دقيقة التعديد، وعشرية العبارات، وذلك لأن المصادر لديهم متوفرة وغزيرة. أما إذا اضطرروا إلى دراسة أديب عربي معاصر وتحليل شخصه وأدبه وأثره، فتراهم يثثرون في أبحاثهم ويسيروا بحفر شديد وخوف ظاهر، وذلك لقلّة المصادر لديهم وتدنيتها، أو استعجال وجودها.

وهنا نقص يارز في أدبنا العربي المعاصر، كنّا نود تخصيص لوان أدباء الأمم العربية اعتموا بتلافية في هذه الآونة؛ خاصة وأن أدبنا العربي المعاصر في بدء سيره إلى

تصدر إلينا مطابع القاهرة وبيروت في كل أسبوع بعدد من الكتب تعالج مختلف أنواع الثقافة. وقضايا الأدب وشؤون الفكر لأدباء عربوا - في الدنيا العربية - بعنق تفكيرهم ونضج أديهم، وما امتازوا به من عوامل الابتكار والإبداع والتفوق، وما في أساليبهم من منع أدبية وإشراق روحي وأدب رفيع.

وهذا تيار أدبي له تأثيره في رفع مستوى العقل العربي وإثارة الأذهان، وخلق رأي عام مدرك متقف يتلقف ما في هذا النتاج من آراء جديدة، ووثبات جرئة، ومواقف صلبة تهديه إلى آفاق واسعة من الحياة، وترشده إلى النور وتزيد في ثقافته.

ولكننا نشاهد مع عظم هذا الإنتاج الأدبي وغزاه، والتروة الفكرية التي يقدمها إلينا أدباء مصر ولبنان، وما يتكبدون في سبيل ذلك من جهد ذهني وصراجه مستمرة وتبع طويل، أنهم مقصرون تقصيراً مهماً في معالجة ناحية هامة من نواحي الأدب والثقافة؛ وهذه الناحية تروخ أدب النضر ومختلف التيارات التي تحاذينه، وأغنى بها كتب (تراجم المعاصرين) من أصحاب التبوغ والإلهام والأدب والفكر الذين كان لهم أثر بارز في تسكون الأدب العربي والتهنئة الثقافية، وما يتروء الآن في جوانب الدنيا العربية من علم وافر وأدب وابتكار.

هذه الناحية قد أهملها أدباء العرب المعاصرون، مع علمهم بأهميتها ومعرفتهم بأثرها في دنيا الفكر وإعلام شأن الأدب ورجاله، في حين أنهم يمسالجون في كتبهم مختلف الدراسات الأدبية من شعر وثر وقصص؛ كما أن

من مكر أدنى رفيع في العالم .

لقد مات النفلوطي ومصطفى صادق الرافعي ، وكانا - رحمهما الله - أصحاب مدرسة أدبية ذات لون خاص في الأدب العربي ، وإن تأثيرهما في الأدب المعاصر وفي بعض الأدباء المعاصرين لا ينكره أحد ، علاوة على كونهما أدبيين يوزن في مصر والبلاد العربية ، ويستحقان عناية الدرس والتحليل ، لما هي السكبات التي صدرت تترجم هذين الأدبيين ، اللهم إلا كتاب (سعيد العربيان) من الرافعي ! وهذا لا يمكن لدراسة أدب دوى اسمه في مصر والبلاد العربية فترة من الزمن !

ومات حافظ إبراهيم وأحمد شوقي ، وكانا عليين يوزن في الشعر ، أجمت كافة البلاد العربية على إكبارهما ، واعترف الأدباء بتفوقهما الشعري ، وما امتاز كل منهما بخصوصاته جليلة طلة الشعر وذائع الصيت ، ليس في البلاد العربية فقط بل في أقطار العالم ، وكان لما تأثير كبير في الأدب العربي المعاصر ؛ فمثل هذين الشاعرين كان يجب أن يعنى بدراستهما عشرات السكتاب المعاصرين وبورخوا عصرهما ، ويجعلوا هذه العبقرة التي ألهمت كلا من الشاعرين هذا الشعر الذي هو المواطن العربية ، وشاركها في خيالها وأمانتها ولطوحها .

ثم مات عبد القادر حمزة والبشرى ، وكان لهما من الصيت والديوى والركز الأدبي والثقافة الشخصية ما جعل لهما مكانة مرموقة في جميع البلاد العربية ، علاوة على مكرهما المتنازع في مصر ، وإن تأثيرهما في الثقافة العامة لا ينكره أحد ؛ فمن الجحود أن يرموتهما بدون أن يترك هذا الرعيل المعاصر من زملائهما الأدباء والصحفيين بتخليدهما بتراجم توضح مدى أثرهما في خدمة الأدب والمعرفة ؛ ومات الريحاني وفيلسوف فارس والأنسة ، وكانوا

النضج والكمال ، وأن أدباء الذين ذهبوا وكانوا قد ساهموا في بنائه وتكوينه ووضعوا البينات في أساسه لا يزال أكثر الذين ماضى بهم من أدبائنا البارزين أحياء يزفون ، وهم قادرون على ترجمتهم وتحليلهم ، وبين الخصائص الأدبية التي امتازوا بها في آثارهم التي تركوها ، والثرات الفكرية التي خلفوها .

إن دراسة هؤلاء الداهيين من الأدباء المعاصرين من قبل إخوانهم الأدباء الباقين من المعاصرين ليسكون ثروة أدبية في الأدب العربي المعاصر ، تسكون من أحسن المراجع وأصدقها لهذه الفترة من حياتنا الأدبية وأدبائها المبدعين ، ستفلقها الأجيال المقبلة بنفيلة وشوق ؛ وذلك لأنها كتبت بأقلام أدباء عاصروا وسأروا هذا الأدب ، وعرفوا عنه كل خصائصه ومميزاته ونواحي إبداعه ، فيكون ما يكتبونه ويترجمونه مصدراً من أهم مصادر التاريخ للأدب العربي المعاصر .

وبالعكس إذا بقي أدبنا ناقصاً من مثل هذه الدراسات الهامة ، ولم يولها أعلام الأدب عنايتهم واهتمامهم ، سيكون من الصعب على الأدب العربي الذي سيأتي في الجيل المقبل القيام بمثل هذه الدراسات ، وذلك لكونه يعيش في عصر غير عصر المترجم له ؛ فإذا أقمت على مثل هذه الدراسات والتراجم فيحدث في كتاباته من الزيادة والنقصان والنشوب والكتب ما تشاهده في أغلب الدراسات الأدبية لبعض أعلام الشعر والأدب الذين عاشوا في العصر الذي سبق عصرنا .

فمن واجب كبار أدباء العرب المعاصرين في مصر ولبنان وسوريا والعراق القيام بهذا الواجب الأدبي الذي أمروا به مع أنه أولى بمنايتهم من كل موضوع آخر ، لأنه علاوة على كونه ميداناً لإبراز عبيرتهم وإبداعاتهم ، ينتج ثروة أدبية لها أثرها في الأدب العربي ؛ وأبسط دليل على ما شوقه ما ينتج به السكتاب الذائع الصيت «إميل لودفيك»

دراستهم وتحليلهم ، في حين أن مثل هؤلاء الأدباء ، وأقل منهم شهرة ، لو كانوا في بلاد غير البلاد العربية لكانت تلك البلاد قد ألقت عنهم مئات الكتب التي تروى حياتهم وإنتاجهم وأثرهم في عصرهم .

هذا نقص في أدبنا العربي يشعر به الآن المثقفون ، وحتى أنصاف المثقفين في جميع البلاد العربية ، متعنين أن يقوم أعلام الأدب في ديارهم بواجب الالتفات إلى هذه الناحية المهمة في أدبنا المعاصر ، فيتركوا لنا وللأجيال المقبلة ثروة أدبية تسكون عوناً لنا بالاعتماد على أدبائنا وأثرائهم ، وتحليداً لهؤلاء الذين كانوا في أيامهم علاناً دنيا الأدب والثقافة بنشر قرائحهم ، وتوجيه أفكارهم ، ومناهجهم في الحياة .

مهدي القزويني

بغداد

من الأدباء البارزين في العربية ، ولم جولات صادقة في خدمة الأدب والثقافة ، وكان تأثيرهم في الأدب المعاصر ملحوظاً ، علاوة على آثارهم التي تركوها وكان لها ولا يزال مركزها الأدبي الممتاز لدى قراء الأدب العربي وأدبائه ؛ هذا مع العلم أن « الريحاني » انتشر صيته الأدبي في الدنيا الجديدة أيضاً ، فعرفوا فيه الأدب الناضج والمؤرخ الصادق . مات هؤلاء بدون أن يشير موهبهم أي اهتمام من جانب الذين عاصروهم وعرفوا فيهم عنى ثقافتهم وأثرهم في الأدب العربي المعاصر .

ومات الشهيد وكان علماً من أعلام المعرفة علاوة على كونه زعيماً وطنياً ، وله في دنيا الفكر جولات صادقات تشهد بها مجلة الهلال والمقتطف وصحف الدنيا العربية ، كما يشتم بصيت بلغ أوروبا والدنيا الجديدة ، وله في الأدب المعاصر آراء وآثار . فهل من الإنصاف أن يجر مونه وتغنى السنون بدون أن يقوم أحد من هؤلاء الأدباء الذين نسيهم بهم الدنيا العربية فيؤرخ لنا الشهيد ؟

وموت الزهاوي في العراق فلا يهز موت هذا الشاعر العظيم الذي أفضى شبابه وكهولته في خدمة الشعر العربي أحداً من معاصريه ، الذين يقدرون فيه شاعرته التي أفاضت بروائها على كافة البلاد العربية نغماً رائعاً جدد الحياة في العراق ، وردده صحاري بلاد العرب ومهول سورية وجبال لبنان ، وأطرب وادی النيل لانهز موت هذا الشاعر فيوحى لما فيه بما يحتمه الواجب الأدبي من دراسته وتحليله وتحليداً له وخدمة للأدب العربي المعاصر .

هؤلاء الأدباء والشعراء وغيرهم بالمشترات في البلاد العربية ، ماتوا وكانوا في حياتهم رواء هذا الأدب الذي جاهدوا تخليصه في سبيل تجديده ، بدون أن يجر موهبتهم هذا إخوانهم المعاصرين من الأدباء ، فيقومون بإخراج كتب بترجمتهم توضح مراحل الأدب العربي وتطوره من وراء

الطبعة الثانية من كتاب

علم النفس في الحياة

تأليف مانر وزوجته نظمي خليل

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بما يدين

قصيدة مصرية: واقعياً (١)

علاج للأعصاب

يجدر هنا أن أوع المرأة تتحدث عن نفسها ، —
أنا امرأة عصبية تقضي بأعواها إلى كل من تلقاه
دون أن تظفر على تشده من عزاء . وبث أحس أنني
عمدت ثقبلة الظل وأنا لا أدع القبر يتحدون عن أنفسهم ،
لأنني أملاً الوقت كله بالتحدث من غشي ومن الأعراض
التي تتشابي في غير راحة أو عوادة ! حتى زوجي أخذ يقل
حديثي العاد ، ويصر على أن ألامى مجرد أوهام لا أساس لها
العلق ، وكثيراً ما يهزم ويكر كما سمع بأرغامي وألاني فالأمر
إنه لا يفهم أن أشكو وأن أظل أشكو ذلك أشد من
تدلق بأنني غايه في الصحة والسالية ، وأنهم مل يجرى
وأكل يشهوه يحسدني عليها الكثيرين ، وهو يكره
السلوك يزيد حالتي سوءاً ، دون أن يدركي استعدادي أن
إظهار الزمان خلال بضري ويضع في ألامى المرأة !
وعندما حاول في أول الأمر أن يصحني بتصنع المرح ، وظلما
ضرب صدره براحة وقال في صوت مجملج يصدع الرأس : —
انظري إلي ! أنا لست عصبياً ولا أجد ما يعنى
إلى ذلك !

وأنا بدوري لا أجد صديقاً لحالي العصبية للرقة ،
ولا يدل فيها ولا حيلة ، ولكنها كما يجمل إلى لسة من
السواء لا أستعطفها ، ولا أتودد في أن أتسائل بطلب خاطر
عن جميع ما أملكه لأفقد من يبرها العاني . بل إنني
لأفضل المني على أن أشعر بأن أفساني المخططة ستقتضي
في يوم إلى الجنون والخلل ، لأنني أكون إذ ذاك
موضع راء زوجي وشقيقته ، بدل أن أظل كما أنا موضع
يزهه واقمته .

(١) من مذكرات طبيب — تحت الطبع

وكثيراً ما تصحني مديقاتي بأن أفضي إليهن عسا
بقل قاني وأكثيه في قراري ، لأن في «تنفيس عن ألامى
ما يفرج كبرني . وسارني بعضهم بأنهن عاتين نفس
ما أناني ، ولم يلفذهن قبر الودع بما يشجبن لبعض
الصديقات !

وخيل لي مرة أن أدعي الإلهاء فيها يشبه الموت لأسمع
ما يقوله زوجي إذ ذاك ، وهو يجردني تخفية لاستعطفانه
بحالي ، فاستطيع أن أذكره بما قال كلما عاد إلى إظهار
صيقه وتبرمه .

وبث أرتعب من اللسك في الظلام ، وأنفوس من
النوم في حالة سبقة ، وبين جوانبي شموه محجب بأن أحدنا
مبهمة مستع . وأخبرني في قراني أشبه بالحقوم عليه
بالإعدام عند ما يدان له أنه قد نام يوماً حادثاً في الليلة
السابقة لسموه إلى المذقة . إنه ربما استيقظ واشكى يتألم
ويتنفس ، ولكنه لم يلبث أن يذكر المشقة وعقته العاني
فيمسسه جسده بإحدى ويغفط عرساً . وأنا كذلك
أعمل قليلاً أثناء النهار ما تستدعيه واجبات ربة البيت ،
ولسكني مرغان ما أحس بالخروج والإعياء ، وإذا بأصالي
ضوضاء تقضي أعضائي وتمضي أشد العذاب ! حتى مزيج
زوجي بصوت عال كان يدهني إلى أن أصبح متوسلة إليه
أن يتركني وشأني ! ! وكان يطلب إلى أن (أشد حيلي)
ولسكن عيارته كانت تنفلي وتجنسني ، إذ كنت أشعر برعب
التريق وشيقه عند ما يراه إنسان على الشاطئ وهو يلاطم
الأمواج في يأس ويكتفي بأن يصيح به أن يشد حيله ! !
وكنت لا أقوى على الخروج والسير في الطرقات
بمفردي خشية أن أصاب بدوار أو إغماء ، فسكنت إذا
اضطرت إلى ذلك مثيت على مهل بجانب الجدران
أو الأسوار الحديدية ، لأنشيت بها إذا خالت الأرض تحت
قدمي وكنت أن ينشني على ! ! وعند ما يضطري زوجي

على الطبيب الكبير مرة أخرى؛ فالح بضرورة بقاى في مصحته لمدة أسبوعين على الأقل، ليوفر لي بيئة تتفق مع العلاج اللازم لأعصابى. ولم أر مددوحة عن الامثال عند أن زهدت في كل شيء. وانتقلت إلى الطابق الأرضى من مصحته.

ولم يرض يونان حتى شاهدت في الحديقة وحلأ وسيدة يتيان في جرع، فلما سألتها ما بهما أخبرانى أن وجعتهما البانسة من العمر ثمانية عشر عاما مصابة بالتهاب الزائدة الدودية، وأن عملية جراحية ستجرى لها في صبيحة الغد بالطابق العلوى من المستشفى ١١

أدركت أنى في مستشفى واسد في مصحة ١ واشتد جرحى في الصباح الباكر عندما سمعت جلبة أقدام غير عادية على أرض الغرفة التي تملأ غرفى مباشرة، ولما تحريت الباب علمت أن بها ستجرى العملية لنفس الفتاة. ولما دخلت الباحة البانسة عرفت أن المريضة تدخل الغرفة. وحيل إلى أنى أسمع وقع نعلها الخفيف، ثم إغلاق الباب، — آخر أمل لها في الحرب — خلفها، وتحرك مقعد من مكانه فعرفت أنها تصعد إلى منضدة العمليات.

وتلا ذلك صمت رهيب فأدركت أنهم كانوا يحذرونها. وتوهمت بخار ذلك الببح يمتد حتى سقف غرفى، وشغرت أنى اختفى، وزحمت ألفت حتى خيل لى أن صدرى يوشك أن يتفجر، وكان الصمت قاسيا فلم أجرو على أن أصيح. وحممت أن أدق جرسى، ولكن فكرة الضوضاء، التي سيجدها منعت يدي وربطتها إلى جانبى، ومضيت أحلق في السقف والعرق البارد يتصبب على جبينى، وجعلت أدلك أصابى ثلا تكون قد فقدت كل شعور وإحساس.

وصمت أناك صروعة تناهت إلى أدنى من الغرفة التي فوقى، ثم صمت وقع أقدام يقيم من جديد، فأدركت أن العملية بدأت. واستطعت أن أنصت السكين وهي تتدفع

إلى صرافقه إلى منبرج أو دار السينا كنت أوتر أن أجلس في مقصورة خاصة، لأنى جلست مرة في مقعد القاعة وسط القاعد الأخرى، فغيل إلى أنى سجيئة، وأن سائر المتفرجين المحيطين في حراس عمالقة، وأن أنفاسهم ستخفى!

أما الأدوية فقد تناولت منها الكثير، وإلى لأخطب النساء اللاتى يمتدن في القويات جادمت هذه المقيدة ترعمن، وكلم أنجب عنسا أذكر صديقة في لمطمت أعصاتها لأن خطبها فصح خطوبتهما فجأة وبلا حريرة من جانبها، وإستمتت بقوى للأعصاب تتماطله والنسبا، فلما لبثت بعد أسبوع واحد أن استقادت صحتها وبرئت أعصابها المخطمة ١١

وقد ذهب بي زوجى في يوم إلى أحد الأطباء الفاضل الصيت، فلما كتمت على قرر أن يحبنى حياء، ثم أن كل ما يجب على أن أفعل عن التفكير في شىء، فبعضى أن أستغنى شهراً من الطامسة وأتولى صديقى الطابع في كل يوم.

ولما ذهبت إلى طبيب آخر ربت على كتفى حانياً ونصحنى بتغيير «الهواء» وقضاء أشهر الصيف في لبنان أو اليونان، وأعطانى خطاباً لطبيب في لبنان يختص في الأمراض العصبية. وحال نشوب الحرب الحالية دون القيام بذلك الرحلة؛ فلما فحنت خطايه وجدت فيه ما ترجمته: «عزيزى الدكتور كتمان.

أوجو أن تكون بحير، حاملة خطاى السيدة... وهى عصبية لا تطلق بسبب أوهام ووساوس تسلط على عقلها، وترجع في القالب إلى نغولها وحياها الثرقة...» ولما لم تجحسن حالتى برمت بأصدقائى ومعارف قديمهم الطاهرين، فأخذت إلى المزلّة وانكفئت فى المنزل، ولم أعد أقرأ خطاباً أو صحيفة من الصحف، وأخيراً عرضنى زوجى

في جسم تلك الفتاة الشكوكة وقد استسلمت للقدر في سميت مدعش، ورشوخ عجيب ، ولم أدركم بث أروقي السفلى ذاهلة العقل زائفة البصر ؟ ولم أدركم حال ذلك (القتل) ، ولا إلى متى قضى أن تظل تلك الخلوقة المسكوبة في غيوبتها المولدة ؟

ولجأة عاد المزاج والروح ، وسمعت قوائيم (المتضادة) ترحف على الأرض في سرعة ، فسمعت أن العملية قد أجريت أو أن خطأ ما قد وقع ، لأنني سمعت قدي رجل تندفعان هابطتين على البرج ، ثم سمعت صوته يصيح في طلب عربة ما لبثت أن أخذت تنهب أرض الشاويخ كأنها تسانق الريح . وأخيراً عاد الرجل وأسرع يرفى بالبرج وأكسداً إلى الطابق العلوي . وسمعت ماذا حدث الآن والألم المنتظرين في الزهرة على ممدش ؟ أترأها قتلها الانقلاب ؟

يذهبها إلى غرفة المدامات صارخين حولها ليشتدوا وحينئذ قبل أن يرق جسمها ؟ وظلت أحياناً في السقف وقد سقطت على راسي الفاضل بن جني وأغاسمي اللاهنة ، وراشي وذهشت في بقعة من الدم القاني وسط سقف غرفتي النابض البيضاء وأدركت أنها من دماء الفتاة ، وما زالت تشكير إلى أن غدت في حجم طبق كبير . وحيل لي أن هذا الدماء ستساقط على رأسي ، وسرعان ما سقطت نقطة على قفازي فغمزني العرق والبرودة ، كأنني غرفت في بحيرة أو بحر كبير في ليلة من ليالي الشتاء القارسة . وسقطت نقطة أخرى كأنها حجر ، فأسرعت أخني وأمسى بين المهدات دون أن أجرواً على الحراك ورحت أستمع لوقع النقط الثقيلة كما أستمع لتساقط قطع من الرصاص . وثقبه لي أن هذه البقط لن تثبت أن تنفذ من الغطاء إلى جسمي فتلهبه بالنيران ، واستأثرت أذنائي بجللين عجيب أحدهما ، ويبدو أنني أغشى على ، لأنني لا أذكر سوى أن حمرة دخلت غرفتي وطلبت إلى أن أقهر ملائتي فصحت بها :

— هل ماتت ؟
ولكنها أجابني في هدوء :
— كلا وستعيش بإذن الله !
— ألم يقتلها الرب ؟
— كلا بل مضت إلى المتصلة وارتقتها باسمه مستبشرة
معتذرة عن تأخرها يضع دقائق .

وبعد أسبوع عدت إلى منزلي بعد أن شقيت وعاودت أعضائي هدوءاً ، وكان مرشحاًني أنني استصغرت شأني وأنا أرتعد وأرجف لأتفه الأشياء ، بأنها هذه الفتاة الشجاعة الجريئة استهانت بالموت واستقبلته باسمه مشرقة الأساور — فارقت (متضادة) العمليات مستبشرة غير حافلة ، .
وسر الطبيب ابرتي ، وزاد إعاءة بقدره الراحة على شغاه الأعباء ، ولم أجد في أنني أفضي إليه وأبني إنما شعيت بعض النسيبة التي استقبلت الموت بشكر باسم ، وإلى بقعة الدماء في سقف غرفتي بخصائه .
التي شئت أن تحرق بالفتاة ، فلما متى أنني سأرى أماسي « بالهبة » صغيرة ، وأسكنني لم أر فيها سوى شاذية في مقبيل المعمر ، صبيحة الوجه بالأمل والرجاء .

دكتور علي شكري

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

رئيس التحرير المشرف
محمد عبد الرزاق خروف

١٥ في مصر والسودان
٣٧,٥ نقطة ومبنى الإبرام
٦٠ في الماك الداخلية ضمن اتحاد البريد
٧٥ في الماك الخارجية عن اتحاد البريد
عن البريد ٩٥ مليا

اشتراك
سنة

نظرات في التصوير

عند العرب

من مآثر لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع كتاب «التصوير عند العرب» للعلامة السيد أحمد باشا نيمور - مع دراسات فنية وتاريخية إضافة ألحقها به الدكتور زكي حسن وقد فرأى الأصل والملاحق وسبق لنا منها العلم الواسع والاستقصاء الجليل ، إلا أننا نقتننا من الاستمرار في القراءة واستدائها أمور قليلة ، رأينا فيها ما يستوجب التثني والتمسك ، ثم استمررنا أدراجنا حتى آخر الكتاب ، وإبنا لرايون من غير «لجنة التأليف» على الثقافة أن نشر آفوا لنا في تلك الرباث ، وإبنا لأرحب صدرنا من أن يضيق بالحوطات بمقتنا على نشرها خدمة الثقافة بعينها ، فنقول أولاً لإغرام بحث كنهها في علمنا تصوير : إن أول كلمة «مُصوِّر» وأبناها المُصَوِّر في اللغة معالج لمن التصوير ، هي التي وردت في ترجمة ابن الهيثم انعطاط الكاتب الشهور ، وكان مستعملها من مؤرخي القرن السابع للهجرة وأوائل الثامن ، وهو أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني المعروف بابن القنوطي ، فقد قال في ترجمة ابن اليواب المذكور في كتابه الموسوم بتلخيص مجمع الآداب المرب على مجمع الأسماء في معجم الألقاب : «ما هذا بعنه : «فَرَّ اللهُ في رأسه : أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز البغدادي الواعظ المرسل الكاتب ، واضع الخط . كان قبل الكتابة مصوراً للدور ، ثم صور الكتب ، وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . وإلى الآن سنة ثلاث عشرة وسبعمائة لم يلحق أحد شأوه وعبهات » . هذا الاستعمال لكلمة «المصور» يدل على نوع من الحرية الدينية في عهد المول بالعراق . وعلى تراخي الدولة

في مراعاة «الحسنة» البلية على الشريعة الإسلامية وآدابها . والمسيكون بالتاريخ يدكرون خبر البواع القوي جرى بين أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباس ، وأبي نصر ابن أبي كالبجاء آخر ملوك بني بويه ببغداد ، من جراء تلقبه بالرحم : اسم من الأسماء الحسن . وذكر ابن القنوطي من المصورين رجلاً تركي الأصل صوفيًا ، قال في باب الملقبين بعز الدين : «عز الدين أبو محمد الحسن بن عبد الله ابن إبراهيم الرومي ، تولى ببغداد الفقير ، كان من الفقراء المرددين وأزهاد المتطهين ، وكان قليل الخلطة للناس ، مُفْتَلًا على شأه ، استولى ببغداد إلى أن مات بها في شوال سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وكان أودع عصره في صناعة النقش ، واستدعى من ببغداد إلى أذربيجان لتصوير المحيطان في بحارة السلطان » ، وإن الباحث ليعجب من مقدرة عز الدين الرومي في من النقش والزربن والتذهين والتلوين والتصوير والتصوير ، بحيث استدعى من ببغداد إلى بلاد السجستان وهي مياتم أهل القتون ، ومثابة البارعين في السجستان إلى أذربيجان محيطان زينة غزلان وما حولها من مدارس وخلفاء ومرافق إبتها البراعة لا غير .

وذكر المؤرخ نفسه نسخة من كتاب «شاهنامه» مصورة منقورة نظماً جديداً ، صنعها أبو الفضل أحمد بن بشير السكازوني الملقب بالقانع الشاعر ، تولى بلاد الروم ، فقد نقلها من أولها إلى آخرها ، وتخلص في آخر ترجمة كل شأه بذكر السلطان حولاًكو وسدجده ، وعرضها بمحضه في سنة ٨٦٦ = ١١٦٦ م . فأمر بأن تفر له مشاهرة واقية وجامكية وأقرة . قال كمال الدين بن القنوطي : «ورأيت هذه النسخة في ثلاث مجلدات فطلع النسخة ، وقد صورها وهي بجزاة كتب الرصد » .

والآن نبدأ بذكر ملحوظاتنا التي لفظناها في كتاب «التصوير عند العرب» واستوجبت منا التعقيب :

١ - جاء في ص ٧ من الكتاب : «ومنها دار

دينار ثلاثمائة مثقال ويصوّر عليها صورة وجهه ، فضررت ؛ فبلغ أبا المتاهية ، فأخذ طبقاً فوضع عليه بعض الأنطاف فوجّه به إلى جعفر ، وكتب إليه رقعة في آخرها يثاق من الشعر — وذكر البيتين — وفي الشطر الأول من البيت الثاني « ثلاث مئين يكن وزنه » ، لأن اختلاف الوزن أدى إلى اختلاف السكالات . قال : فأمر بقبض ما على الطابق ، وسوّى عليه ديناراً من تلك الدنانير ووجه إليه . فأنجز هذا مثبت لذلك الخبر ، ومؤكّد أن صورة جعفر الرمزي كانت مصوّرة في تلك الدنانير العظيمة الوزن والسعة بالإضافة إلى دنانير البسطة ، حتى لقد احتاج أبو المتاهية أن يهتئ طبقاً يتخذ به رمي ، ويُرسل به إلى جعفر ، ليأمن على الدينار الواسع الأفطار ، من العبوز والإمكانيات ؛ ومثل هذا الدينار لا يؤمل أن يُعثر عليه اليوم ، لأنه صلب الخزن وقليل الأشياء في أوقيته ، فهو من دنانير الأندلس والأعياد ، يُذاب ويُباع بالمقابل بعد غربه .

قال في ص ٧٧ وصف الساعة المائية التي كانت في إوان الدار مقابل المدرسة المنصورية ببغداد ؛ قال : « رأيتُ وصفها في حوادث سنة ٦٣٣ من جزء قديم في التاريخ عندما لم يعلم اسمه ولا اسم مؤلفه . ونص عبارة ... » فلنا : هو كتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) لسكّال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الغوطي ، يؤرخ العراق في عصره على الإخلاص ؛ ونحن فُنا بإصلاحه والإشراف على طبعه بنقطة أحد المشجّرين بالكتب ، وأخذته لجنة إصلاح (النجوم الزاهرة) مرجعاً للتحقيق ، وذلك لمطعم فوائده وفريد أخباره ، وهو الكتاب الذي أشار إليه مؤلف (التصوّر عند العرب) قبل هذا في ص ٥٣ منه . فأما الخبر الأول فقد جاء في ص ٣٠٣ من الطبع ، وأما الخبر الثاني ففي ص ٨٩ - ٣ منه . وما ورد في ص ٧٧ التي علّقنا هذا الكلام على ما فيها ، هذه الجملة : « ثم تطالع أقمار من ذهب

رضوان ، وفيها يقول الرشيد حماد الدين عبد الرحمن بن التابلسي ... » . وفي قوله « الرشيد حماد الدين » غلط ، فإنه المشهور بلقب « رشيد الدين » ولم يلقه أحد « حماد الدين » ، ولا يختلف مؤرخان في لقبه . والألف واللام في « الرشيد » عوض من « الدين » كما قالوا « الفخر الرازي » و « السّم البرذالي » ففخر الدين وعلم الدين . قال ابن شاكر السكتي : « عبد الرحمن بن بدر بن الحسن ابن الفرج بن بكّار ، رشيد الدين التابلسي الشاعر الحميد ... وكانت وفاة الرشيد في شهر سنة تسع عشرة وسبعمائة . » وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : « عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرّج : رشيد الدين التابلسي الملقب بمذلولي ، سمع مقامات الحريري ... »

٢ - وجاء في ص ٣١ من الكتاب : « ... وجد جعفر ابن يحيى بعد غلته بركة في داره التي في حويقة جعفر ، فيها أربعة آلاف دينار ، وزن كل دينار مائة دينار ودينار ، وعلى كل دينار من أحد جانبيه : وأصفر من ضرب دار الملوك بلوح على وجهه منقوشة ومن الجانب الآخر :

يزيد على مائة واحداً إذا ناله معسر يُيسر

ولا ندرى إن كان الراد صورة أم اسمه ؟ » ١

وقال مصاحف الكتاب وخرجه في ص ١٧٠ منه : « ويرجع عندما أن الراد اسم جعفر لا صورة . انظر كتاب النقود العربية ، وعلم التعمينات لسكرمي ص ١٣٣ » ١ . وقد نظرنا في الكتاب الذي أشار إليه فلم نجد متاسبة بين ما رجح واسترجح ، والذي أحال عليه ، لأن كتاب النقود احتوى على الأمعا المكتوبة على النقود الباقية المعروفة من عهد الرشيد . ووجود الاسم لا يفي بوجود الصورة ، وإن لم يعثر الباحثون على دينار مصوّر من تلك الدنانير لأسباب سند كرها ؛ فقد حدث محمد بن عمران بن يحيى بن خالد قال : أمر جعفر بن يحيى بن خالد أن يضرب دنانير في كل

١ - - وورد في ص ٢٠٢ : « السلطان السلجوقي محمود بن ملكشاه » ، والصواب : « محمود بن محمد بن ملكشاه » . وسبب ذلك أنه ذكر مع اسم هذا السلطان سنة ٥٢١ هـ ، وهي من عهده ، وقد توفي سنة ٥٢٥ هـ ؛ أما محمود بن ملكشاه فلا صلة له بهذا العصر ، لأنه « سلطان وعمره أربع سنوات واشتهر سنة ٤٨٥ هـ ، وتوفي بعد أن عثى في عهد اضطراب سنيين وأشهرًا » .

٢ - وورد في ص ٢٣٢ : « فإن أقدم مثال مؤرخ من هذا الترك موجود على باب حران في مدينة الرها » ، ويرجع إلى الملك المظفر شهاب الدين غازي ، الذي حكم الرها من سنة ٦٠٨ إلى سنة ٦١٧ هـ . قلت : وقد أحال في الحاشية على كتاب ، ولكننا شككنا في التاريخ حينما قرأناه . والصواب إلى سنة ٦٢٦ هـ . مكان سنة ٦١٧ هـ . قال الميرزا في وفيات سنة ٦٢٦ هـ ما هذا نسبه : « في هذا مات الملك المظفر شهاب الدين غازي بن المaul أي بكر بن أوب صاحب الرها ، وقام من بعده ابنه الكامل محمد في منطقة الرها وميافارقين » .

ومن الثابت هو أن الملك المظفر حكم في تلك النواحي إلى أن مات وهو على الحكم ، فإلى الذي دعا إلى اختيار سنة ٦١٧ هـ غاية لحكمه ؟

٣ - وورد في ص ٢٣٤ شرح لصورة أبي زيد السروجي وجهه التي وجدت في مخطوط باريس ، قول الشارح : « وهذا المخطوط أبدع المخطوطات المصورة التي نعرفها من مدرسة التصوير السلجوقية في العراق ... » . وأحال على كتاب نشرته دار الكتب الوطنية بباريس ، وكتاب أيجون ، وثلاث ألوانه ، وراجع لارتق ؛ فإن كان الشارح الفاضل شابع هؤلاء ، فإن ذلك لا يتقص مجيبا بل زيده ، لأن الصورة مؤرخة بسنة ٦٣٤ هـ . أي ١٢٣٧ هـ ؛ فأى سلجقة بقيت في تلك الأزمان ؟

في سماء لأزوردية في ذلك الفلك ، مع طلوع الشمس الحقيقية » والصواب : « ثم تطلع شمس » ، لأن الشمس الصناعية تطلع مع الشمس الحقيقية . أما الآثار فقد قال المؤرخ فيها : « فإذا جاء الليل فهناك آثار طالع من ضوء خلفها » . وقد أصاحت نحن العلة في الطلوع ، قال المؤرخ عبد الرحمن البريلي في وصف هذه الساعة : « وتطلع شمس من ذهب في سماء زرقاء في ذلك الفلك مع طلوع الشمس ، تدور مع دوراتها وتغيب مع غيوبتها ؛ فإذا غابت الشمس وجاء الليل ، فهناك آثار طالع من ضوء خلفها ... » . فهذا تأكيد تاريخي أوردناه بعد القول القوي .

٤ - وجاء في صفحة ٣٦ ، وهو من التماثيل والملاحيق قول المصالح الفاضل في الصور والتماثيل التي كان الساس يستندون إليها قدرة حدوده : « كتليبات المنقوشة على مسلة جلب وفي باب الطاسم بيقاد ، وكانت في النواحي الشمالية على رأس القبة المحصورة ... » ، وأحال في الحاشية على معجم البلدان لياقوت ، وتاريخ بغداد للخطيب ، والملك المنتجب لابن الشحنة . وكان جرياً أن يحيل - يدي ذي يد - على كلام المؤلف ، فقد ذكره في ص ٥٢ - ٣ من الكتاب ، ونقل تفليد ياقوت لثلاث هذه الأبطال . أما باب الطاسم بيقاد ، ففي الباب المعروف قديماً بباب الخليفة ، وقد نسقه الأثر في شهر آذار من سنة ١٩١٧ فلم يُعرف عن الخليفة الذي أمر ببنائه أدق ، وتكون إلى السحر وأقل تصديق به .

٥ - وجاء في ص ١٦٢ من الملاحيق أيضاً : « انظر إلى مقالنا عن الشكاوات الزجاجية في عصر المماليك » وفي هذه الجملة ثلاث غلطات ، نذكرها على سبيل التمثيل بأن نقول : الصواب « في الشكايات الزجاج » ، وفي ص ٥٤ : « الصور الخشب » (١) وهو الصواب .

(١) لم يدل « الخشبية » لأنه لثلاث من آخر هو كون بعضها من الخشب .

محاولات في النقد :

الدكتور محمد مندور

في الميزان الجديد

والشعراء ، وساعدوا ما يطبع عليه من جلد وما عتده من حسن استعداده ورجاحة صدره وقوة إيمانه ، مما ياعد بينه وبين الطوى الذي ما لعب بقلم إلا مال به عن جادة الرأي الصريح .

ولدى الآث كتاب الدكتور الذي نشره فصولا متعاقبة في المجالات ، أحد فيه مبادئ النظرية للجمهور : « نحن قوم مترمون يظنون التقاط الاجتماعي فضيلة في قوم حسيون ، إذا تفرنا جاء غرابنا إما إسقاطا في الخضوع وإما (طراشة) في الساطفة ، قوم تبرزهم القوة الميأسية... » ص ٦٦ .

وهو يعد يسير في نواصب السلم والمطمئنان القوى إلى أن الذي سيقر ، وبغير لابق للحكم بالاد : « أنا لا أريد أن أبقى قويا على أعداء ، ولكني أحرص بالقيم الإنسانية التي يجب أن تنجح إليها أدبنا إذا أردنا أن نلحق بغيرنا » .

في آخره (١٩٥٤) مقال الصفحة (٢٥٨) « هذا بعضه : « تتأثر كثير من الخوف ذي الدهان الأزرق » ، والعرب تمت هذا الخوف « الخشيم » ، قال البراد : « وكذلك قال أهل الملة : الخشيم : الخوف الأخضر » وقال الأصمعي : كل خوف خشم . وهذا بعيد أن الخشم يشعل ذا القويين لتفارسهما . وفي ص ٢٥٦ : « بينهما حاجز شرقية بلوذة (يلكون) » والعرب تمت مثل ذلك بالجناب والروشن . وللاجنحة أي البايكوك أن أحكام في الحبسية » قال الداودي في الأحكام السلطانية : « وهكذا القول في إخراج الأجنحة والأسبطة و... يقر ما لا يقر » وجمع ما غر » . أما الشرق والشرقات فتكون كالأشبان على السطوح .

مصطفى مراد

(ينداء)

... وأخيرا بعد ترفيل طويل ، ونظرة نافذة جرى . وكانت حرا يحمل العول في طريق المدم والبناء ، طالع علينا الدكتور مندور بواكير نظراته في الأدب : « فكان لصديقه صدي أراخ الجريمين على حياة النقد والفاد في مصر ، وذلك لأن الأنلام التي كنا نأمل من ورائها نبعث حركة التصرف ، وتوجيه الأدب والأدباء انصرفت إلى الحياة الخالصة ، أو إلى التثني إذا وقعت على نتائج أو أثر أدبي ولعل صديقنا الدكتور مندور قد هاله حبه للنقد في مصر بعد عودته من أوروبا ، « مثل على حبه لأدب وأمانيه العربية » فأقبل على استنباط ما كان

أجل انقرضت الدولة السلجوقية من التاريخ ، وأقبل على انقراضها كاملا ، وبقيت آثارها وذما في بلاد العجم حتى سنة « ٥٩٠ هـ » فاستوصلت ، فكيف كانت المدرسة سلجوقية ؟ والصحيح أن هذا من طبقة الصور العباسية ، أي المدرسة العباسية -- إن حازلتنا التغيير بالمدرسة ، وليس هنالك -- وهي الطبقة التي ابتدأت من خلافة أمير المؤمنين أبي القباس الناصر لدين الله الشافعي . واخذت تصور بهذا الفن يعطون أمر صورة الرجل التي كانت فرق باب الطلم ، بين تباين ، وأن الشكل في سنة ٦٠٨ هـ بأمر هذا الخليفة الهام ، فمن إذن طبقة الرسوم العباسية الناصرية . ولا وجه لتسميتها باسم خيال غالف للفارسي .

٩ - ونحن كلفنا بالإشارة إلى تساهل الشارح الفاضل في ترجمة « الكلمات الفنية » . فقد ورد في الشكل

يشهد روعة الحاي الدرة في فصل عقده تحت عنوان «التقد والعرفة» ، وفيه يتجلى حماس المؤمن ، ودفاع المستقيم ، وحرص المحقق على الفوز بالباقي . وعندئذ أن الدكتور نجح كفتاد لأنه مستكمل لمصاص النجاح ، وألده الصراحة والصدق والإخلاص ، وهو بعيد عن الجاملة حتى نفسه ، وفوق هذا فهو مؤمل غير متشائم ، وهو واسع الرءاء ، يعيش بمنجاة عن التناق لا يندع بالزخرف . انظر إليه واقراً رأيه في علي طه المهندس : «وها أنا اليوم أنظر في «أشباح وأرواح» للشاعر علي طه فأرى مسوراً مغربة وجبالاً في الطباعة تهش لها العيون ، ثم أفتح الكتاب وأخذ في القراءة فتلطوى النفس وينفر الإحساس» ص ١٩

ذلك موقفه من علي طه الذي خدع الناس جميعاً وصرفهم إلى مدح شعره بالحق وبالباطل .

الكنى مشهوراً كان صريحاً معه ومع الدكتور عام في دماء السكينة ، مع اعترافه بفضل الدكتور وإسرافه في الإخلاص له والاعتراف بيده عليه ، حتى ظننت به ظن السوء أول الكتاب ، ثم أوساني أخيراً إذ صادق ووفي النقد حق .

والدكتور مندور قوي الصبر في الرض ، مطيل في مواقف التحليل ، عالج نتاج أعلام هي قيثارات هذا العصر ، بينها : طه ، الحكيم ، للزافي ، العقاد ، وتيمور ، وآثار الرأي والأفلام حول الشعر المهوم ، وأظهر حبه وإخلاصه في تطارب شعر المهجر ، وتحدث عملاً عن الشعر الخطابي ونحوس فوق ما كنا ننبئ له وهو الجانب للهوى ونسي أو أنسى أن يمرض لألوان الشعر ومدارس الشعراء «للماصر» ، ولو في إنجاز ، وذلك أول شيء يجب أن ينظر فيه الناقد ، لأننا في طور إفلاس الشعراء ، أو على الأقل في مرحلة أحب أن أسميها «بليلة الشعراء» ١١ وكنت

وهو فيها حاول يقدم لك الدليل على سحر ذوقه ، وطرافة متعجبه ، واستيعاب منجاء ، يستشير ويتحسس حتى يدافع الأذواق (البديعية) .

يجادل حول نظرية عبد القاهر الجرجاني في نقاش بينه وبين بعض الكتاب فيجتمع بهم إلى طريق القلب ، «إلى الإحساسات المختلفة التي يثيرها في أنفسنا تصغيرنا الداعي في قولنا مثلاً (حقة ولد) ، و (حقة نفقة ولد)» بفضل روحه الخفيف وسماحته الخلاية ، ويده عن عنجهية تفسد على المتقف حياته الأدبية .

وهو الداعي إلى التجديد والسكافح في طريقه ، «ولكن على شرط أن يكون التجديد إنسانياً عميقاً جريلاً ، وأما إذا أخذنا بالقشور والهايا كل تاركين الباب والمال في الدقية ، فسنفقد عندئذ أسالتنا دون أن تستعير عنها بأصالة أخرى . . .» ص ٧ .

فهو مؤمن بالتجديد وحريص على التوجيه ، ولكن في تغل الأمل وبخل الحريص على الأجر ، المبرغيد في القيرة والإنصاف لثراث آياتنا . هو لا يجهف ، ولا يتخذ من اطلاعه على أدب اليونان وغير اليونان طريقة لطمع الأدب العربي في أعز ما لديه .

واسمع للدكتور مندور في (أبي العلاء ورسالة المغراني) ص ١٠٩ يقول : «التأق ذو الخيال ، القادر على تصور حياة العرب والإحساس بها قدرة الممثل الجيد على أن يحيا الدور الذي يلعب ، يستطيع أن يدرك ما في بكاء الديار عند هؤلاء القوم الرحيل من جمال وصدق لا أعرف لها مثيلاً في أدبنا ؛ ومع ذلك كم نرى من أحق يستخر من هذا البكاء ، بل كم من ناقد لا يرى فيه إلا مجرد تمهيد لأغراض الشعر عند العرب» ١١ وكثيراً ما يقيم الدكتور من نفسه محامياً يدافع عن قضية الحق في الأدب ، ويرد غوائل مبطل الرأي ومن يشط به قلبه . وعلى القاري أن

حنين ونجوى

مائل مكفى ، فأنسىنى - صاحب اللوى

ل - إلى شاطئ ، من الناس قفص

وانظري ، هناك ، أشدو فيصنى الـ

ماء ، والرمل ، والنبع لشعري

والصبي أشكر وأجدي تشيداً

فأنسى شواطئ البحر شفى

وأحدثت عن جرح سجين

فأنسى صبية على صدرى

دام نور الحياة ، فأنسى الله

ر ، وما نال غير ظلة

طاردة الهوم وهو أسير

ماله فى إسار من نفساً

أريد الدكتور أن يفت قليلاً عند شعر الشاعر الكبير

« نور الأسمر » ومن على غزائه مثل الأستاذ « محمود عليم » ؟

فقد الأول رنة بحرية ، وفي الثاني عزاء عن شاعر النيل

حافظ . وأمل الدكتور عفره ، لأن غبار الجدل وما منى به

من مآثرات ألقى الدكتور عن دراسة أمثال « الزين »

والشباب الشاعر « غفار الوكيل » ... وأنا بعد أخالف

الدكتور فيما يريد للشعراء ، « أريد أدباً مبهوماً أليفاً

إنسانياً » . نعم ! أريد أدباً « أليفاً إنسانياً » ، ولكن

ليس من الضروري أن يكون المهنس أظهر خصائصه ،

أريد مبهوماً صامداً مرة أخرى ، أريد خيراً هادئاً

ثم تياراً جارفاً ، أريد موسيقى ثم رعداً يروع الخادم ويوقف

الغافى ؛ أريد أدباً ملوكاً لأن القرائح لا تخضع للفقير ،

وإنما هى رهينة الفنان والتوفيق

فائل محمد عفيف

هل رأيت الهزار هيفاً جناحا

و ، فأنسى ما بين نابر وظفر ؟

ذاك قاي ، عللاً عطفت عليه

بجنانى على الذى مستمر ؟

نظرات الحنان من عينك السنك

رى رجماد الجرح المستمر

فاضمدية ، ولأوليتى عسودى

واصحبى إلى مواطن يشرى

تمشى فى خاطر الليل حلاً

سأبح الظل فى أشعة بدر

تمشى على الرمال ولة

و دمال ما بين نهر وزهر

عطفت « حجلة » عليها خناناً

خفيها بكل روعة سحر

أما يا موهب الصبا والعصا

ت ، وتلحن قلبى ، وتشرح فكرى

كم توشك بالأموع ، وأذتر

ت ستلقى هنا ، وأذبت « ذكرى »

وتضرعنى بالأساور ، فأمد

ت على ما دعوت تأمين برأ

ثم أوقعت فيك نفعاً أود

لى ، على تسمع الحبيب الأقر

آه يا موطن الصبا ، كم تنبذ

ت لو أنى أقضى بواديك نهرى

حيث لا حاسد حقود ، ولا ظ

ل تقيل ، ولا جباراً عر

والى جنبى الحبيب ، يساج

خيمرى أهوى بسر وجه

لا صلاح لأمة

أرزاقها بيد الغرباء

حياة الفرائيس لا يلقاها إلا الذين صبروا ، وأولئك قلة ، أما الكتلة الغالبة من الشعوب ، فتدخل مشا كل عيشها عن طريق اقتسام الأرزاق . وليس من المستطاع تقسيم الأرزاق إلا إذا امتلكت الأمة أرزاقها ، فإذا ماتت أرزاق الأمة إلى أبد طارئة ، فسرت أخلاق الأمة المستضعفة إلى مناطق الدل والخنوع والجور .

فمن ملك ذق ملكتي ، ومن ملك ذقته امتلكتها ، إلا العظماء ؛ بل قل وكذلك العظماء ، فالذي يملك الإنسان بالأرض القوت ، والذي يبيع الإنسان من التحليل في أجواء العقل القوت ، والقوت طوائفت كبرى ، اسمها البروج النشيدة فوق أكفاف الاستغلال ، وشهوات الاستحواد .

فالقوت أكثر من مشكلة ، وأبعد من مسألة ، وفوق كل ذي فكر ورأي سلبيين . فالحياة مهددة بالبقاء إن أنت هددتها بفتح الأقوات ؛ والحياة تصير إلى زوال إن أنت باعدت بينها وبين ملء الأمداء . لأن خلق الخلوقات قهر لنا أن نتفقد ، والغذاء عملية قضم وهضم ، فتوزع بقطاس مستقيم ، فديب حياة إلى خلايا الأجسام ، فحركة ، فهذا السكون ، أو هذا المدد الحائل من الأحياء الذين يتشربون في الأرض ليمروها ويشيروها ، وبزبونها ، ففوق العقل كابوس ، اسمه أين القوت ! وفوق البصائر كابوس ، اسمه هل يمكن التغلب على القوت ! ومن هنا تستذل أمة وتستبذل أمة ، وتوجد الفوارق بين الأفراد والجماعات وبين الشعوب .

بقضية الشرق نحن عن طريق حل قضية القوت . وليس من الحقيقة في شيء أن يتعالى بعض الناس وهم زعمون أن القوت من المحقرات ، وأن المحقر ، وحدهم هم الذين يملكونه ، وهم الذين يملكونه ، فأسماء هؤلاء ذات اكتظاظ ،

فتمالي ، استعذرك الحظ العسا

بر تبيلاً ، على أشقر لجر

ما الذي كان فاعلست وحلم

س فؤادي دعين بأس وأسر ؟

ألاي أدميت رجلي ، سعتيا

في رضيك ، بين شوك وصخر ؟

أم لأني ألبستك الشمر نوبا

رائع الوشي من بيان وسحر ؟

أم لأني توجست مفرقك الفا

حم ، تاج الجلال من كل غفر ؟

... فتمالي من قبل أن ينصب الما

، فينوي في روضة الحب زهري

على هليل الوردي

لا زقيب ، سوى زقيب عقال

لا قيود ، سوى تقايم وطهر

ههنا ، يمانى ، قد نبت الحب (م)

بطرف ، ومهجة ، وبشعر

ههنا اشتغلت الجوارح نوراً

حب ، كاساً ممزوجة أي طار

ههنا ترحه الهوى ، فاسأل البسر

حق من زاهر من العمر لفر

كم نقشنا على لحاها مهوداً

لم تزل من محلها قبة شجير

أينكون التبات أولى بهدي

ملك ، يمانى ، وأرى لك كرى ؟

الترقى . وليبقى الناس أن الحياة أغفل من الأفراد ، وأن الطبيعة توأميتها المحسنة التي لا تحصى خلالاً أو تبليلاً . والطبيعة تقول من الحتم أن يأكل الإنسان لينعيش ، ولا تقول من الحتم أن يعيش الإنسان ليأكل . فإنا مع سقراط في حكمته هذه ، إن كان هو الذي قلنا ، وأنا أدعو الناس ليتأملوا معي حكمة هذا الفيلسوف ، وتسوف يجدونها أحسن من المحيط الإطلائي .

أنا آكل لأعيش ، ولا آكل لأكل ، لأن من مسببات الحياة أن يدخل الطعام الأمعاء . فإذا ما فرغت من حشو الأمعاء وجب فوراً أن نطلق إلى غاية الحياة العظمى ، وما غاية الحياة الدنيا إلا الإدراك ، وما الإدراك إلا عبادة رب العالمين . مثل هذه الحياة الدنيا كمثل شجرة جذورها الدين ، وجذعها الفلسفة ، وأغصانها العلوم ، وأوراقها الفنون . وهذه النماذج جميعاً تندمج بالنداء الذي هو غاية الحياة ، وغاية الشجرة أن تعطي رائحة أو ثمر ، أو صوتاً ذلك كثير . وغاية الإنسان إذا ما لم يهده النطق ، وسار على نسق منها وهدى من ربه متين ، أن يعطي عبادة . وأرفع أنواع العبادات ، الجهاد في سبيل الله ، والله هو الحق الأعلى والثل الأعلى .

فإذا أمكنك أن تجد الرائحة تنوح من الأشجار من غير تغذية هذه الأشجار ، أمكنك أن تجد الإنسان الأعلى في الإنسان من غير أن تنزى الإنسان . فالقوت أص الضروريات لحفظ الحياة ، وما أوجد الله هذا العمل العظيم الذي نحويه في باطننا عيشاً . إن لكل شيء غاية ، وغاية الأجسام أن تنفذى ؛ وإن لكل غاية غاية أعظم منها ، وأعظم من الأجسام العلو بالأجسام نحو المطلق العقلية . ذلك من أسرار الحياة ، تكشف عنه ، ولقد كان معلوماً ، وفي النفوس مغلورياً ، ولكنه ظل مطموراً . فإلى الذين يديم توجيهه هذا البلاء ، أن يحسبوا سياسة البلاء ، ويعفطوا أرزاق البلاء بيد أبناء البلاء 11 محمد شفي

ولولا اكتظاظها لما قالوا قوتهم هذه . ومنهم جيع ، ولكنهم يتناولون تعالى العبد ، وجد في مكان به أرواء أرواء ، فشمخ بأنفه ، ليومهم أنه لا يقصر عن ملاحظتهم في بمبوحة عيشهم . هي كبرياء كاذبة مضلة ، أضرت بالأذهان ، وأبلى قول المصلحين .

وحل قضية القوت في مصر يأتي عن طريق رد الحقوقي إلى أهلها ، إذ أكثر من نصف ثروة مصر يملكها الأجانب ، ونصف النصف بيد الشعب ، والباقي بيد فئة قليلة العدد كبيرة الامتلاك .

فالحن أن الاستقلال استقلال الاقتصاد ، والباطل أن يكون الاستقلال عن طريق إصلاح النفوس . لأن النفس لا تصالح ولا تفضل إلا إذا وفرت لها الغذاء . فخذ من الناس أرزاقهم تذوقهم ليس الجوع ، وإنه لأقسى صنوف الآلام ، وإنه للمبعد الأعظم لاستعباد شعب من الشعوب .

فإذا نظرت إلى التاريخ أمكنك أن تتعجب انحصار عمل وينحرف ، تبعاً ليل القوت وانحرافه ، فخذ أهل اللهالي للفسين المجاهدين . حتى يمكن المسلمين حكم الشعوب الفتوحة . ولقد حكمت بريطانيا نصف المعمورة عن طريق التصرف في أقاتها . وحكمت أوروبا منبع الثورات والحريات عن طريق التصرف في أقاتها . وهامي الولايات المتحدة زامف إلى اليادين بقوة الأرزاق لبقوة العقائد فقط . ولقد أقررت الصجاري من السكان لانعدام الأرزاق ، واحتشدت النفس في مجاري الأنهار لأن الأوقات ميسورة ومبدولة .

ومن أدلة قوة القوت ، أن ألمانيا ضاعت في الحرب العظمى الأولى ، بضياق القوت ؛ والأمم الإسلامية استعبدت عن طريق امتلاك الأوقات .

فالقوت القوت القوت ! وليحذر الناس أن يهوؤوا من أثره ، تحت تأثير الأرقام الرقيقة التي تحرق من أثر الأوقات في النفوس ، وهي نفسها ما احترقت الكتائب إلا

بين المسموع والمقروء

أمرٌ مُتَمَنِّعٌ وهضمٌ يسوء

جان چاك روسو كاتب من كتّاب فرنسا الكبار ، في القرن الثامن عشر . كتب لصديق بولندي يقول : « إنهم سيامعونكم . ولكن احذروا ثم احذروا أن يهضموكم » .

وسدقت نبوءة روسو . ففي عام ١٧٧٢ وعام ١٧٩٥ ، اختفت دولة بختارها من خريطة أوروبا ، هي الدولة البولندية ، بعد أن ظلت تعيش وتحيا قرابة ثمانية من القرون ، في ظل ملوك ذوي عرش وأبهة وسلطان . وكان اختفاؤها ابتلاعا . واشترك في ابتلاعها ثلاث دول ،

وابتلعوها ، لا كما ابتلع الثعالب الميراثية دولة رومانيا دفعة واحدة ، ولكن على دفعات ، وبسطها وكما وبسطها أيضا كما يقطع الثعابين . حدثت البلعة الأولى عام ١٧٧٢ ، وكان على المائدة ثلاثة قياصرة عظام : القيصر الروسي والقيصر الألماني ، والقيصر النمساوي . وكانت البلعة الثانية عام ١٧٩٣ ، وكان على المائدة قيصران : قيصر الروس وقيصر الألمان ، ولأمر ما تفتب الضيف الثالث . وكانت البلعة الثالثة عام ١٧٩٥ ، واجتمع عليها ثلاثهم فلم يفتب منهمُ نائب .

وخشية أن يطفح الطافح بما ازدود ، تعاهد القياصرة الثلاثة على استبقاء ما في بطونهم حتى يكون هضم ، وأصبحوا ههنا التحالف بالتحالف الثلاثي القيصري ، Dreikaiserbund . ولكن الزدود لم يهضم أبداً ، وظلّت الأعمدة الثلاث تنوء بسوء هضمها ، فالهولة البولندية كانت قد ماتت ، ولكن الأمة البولندية لم تمت حتى في ظلام هذه البطون . وكما نارت ، فالتوت هذه

البطون من ألم ما احتوت ، نارت أحرار أوروبا يرفعون الأسباع في وجوه أصحابها مهددين متذنين ، حتى صارت بولندا مثلاً للظلم والإجحاف يشتمل به التشثون ، وبؤرة يجتمع عندها عطف العاطفين . فهذا العطف الخالي الذي نراه اليوم في أمريكا وفي أمم أوروبا القريبة ، على الأمة البولندية ، عطف لا يمكن استنصاله لأنه عطف بإجماع قديم . وجمعت الحرب العالمية الأولى ، حرب عام ١٩١٤ ، فصدت فرصة تشكيل الأمة البولندية من جديد ، فكاتت ، وساخوا لها من ألمانيا وروسيا والنمسا ما كان لها قديماً . وكان رئيس دولتها من بعد السلم الرئسال بلسودسكي Pilsudski .

ما من بُرِّقع تم يعود

أقد نشأ المنصر البولندي أول ما نشأ بين الهزئين المشهورين منبر المستولا ونهر الأودر ، ثم أخذ يمتد هذا المنصر في رحلات الأربع . وبولنده أرض منبسطة ، وبولندا في أوروبا بين سهلين عظيمين ، سهل روسيا ، وسهل ألمانيا . ويحدها في الشمال بحر البلطيق ، أو كان قديماً يحدها ؛ وفي الجنوب حاجزها الطبيعي الوحيد النيبع ، جبال الكربات . وأمة في هذه السهولة من الأرض ، وبين هذه السهولة من أرض الجيران ، لا يمكن أن تحتفظ باستقلالها ، ولا أن تدور عن كيانها ، في عالم التناجز والتناحر هذا ، إلا بالسواعد والسيوف . وهي إما أن تأكل أو تؤكل . وقد كانت بولنده قوية فيما مضى ، فأكلت . ثم وانها الضعف في القرن الثامن عشر ، فأكلت . وهي من قبل أن تؤكل ، في قوتها ، كانت فاصلاً جيلاً ، بمجده السياسيين ، يفصل ما بين عصرين لم يشأ التاريخ ولا التقليد إلا أن يكون بينهما بعض عدو ، المنصر السلاقي والمنصر الجرمانى ، أي روسيا وألمانيا . ولكن الحاجز لا يرضاه التحازيون إلا أن يكون قوياً .

يبلغ بكم محبتكم ، « الاشتراكية » . فلكم من حسن التثني والعبوة الصالحة . ولكن من الآن فصاعدا أرجو أن تدعوني بالسيد إذا ما دعوتكم .

محبة ويضعهم من أجل بمرور وجرها

كانت غاية بلودسكي بولنده ، لا غيرها . وفي سبيلها صادق الروس وعادام . وفي سبيلها عادي الألمان والنسايين وصادقهم . وهو قد عادي وصادق كذا دعت دواهي بولنده إلى صداقة أو معاداة .

نشبت الحرب الماضية ، فابليت أن هاجم روسيا ، روسيا القيصرية ، بجيش بولندي آلفه . فقال بذلك الخطوه عند الألمان حتى أعلنوا استقلال بولنده . وما كادت تستقل بولنده ، والحرب قائمة ، حتى كوّن جيشا يستطيع مقاومة الألمان إذا ما أسعفهم القتال . وصدق حدسه ، فما تورط الألمان وحلفائهم في الحرب فنالهم الضعف حتى مال عليهم بطرد الشيعة الباقية منهم من بلاده . وجاء عام ١٩٢٠ ، فوجد حدوده القريبة آمنة ، أمستها اغتال أعدائه في الغرب . ونظر إلى الشرق فوجد الروس دولة محطمة ، قد نالوها الرأسماليون بجندهم من كل جانب . إذن هذه فرصة قل أن يسمح بها الزمان .

مغامرة الروسية

نظر إلى أوكرانيا وإلى ما نتجج من أوزاق ، فشاقته أوكرانيا فأخذت تتراعى له في الأحلام . وإنها لملي قيد خطوات من مواطلي نعال جيشه . ودول الغرب لا يمكن أن تتدخل أبدا ، وإن هي تدخلت فلاشك إلى جانبه ، فن منهم لا يخشى البلاشفة ، ومن منهم لا يكون عوناً على إضعافهم وإقتنائهم .

وبدا مقامرته فهاجم الروس . ودخل كييف ، عاصمة أوكرانيا ، في الخامس من مايو عام ١٩٢٠ . وكان من وراء بولنده دولة الرئيس ، دولة الحرية والوثاقاة والمساواة .

فلما ضُف ، وسهل انخراقه ، تراضى المنصران على رفعه مما بينهما فرقاء ، وظل مرافقاً نحواً من مائة وعشرين عاماً . وفي قاعة في قرسي ، في عام ١٩١٩ ، أنشأ الساسة الدولة البولندية بصورتها القديمة لتقوم بواجبها القديم ، فتفصل من جديد بين سلاف الروس ونبوتون الألمان .

ولقد أراد الساسة الغربيون عام ١٩١٩ أن تقوم بولنده ، لا بفصل روسيا من الألمان حسب ، بل بفصلها وقصل بالاشتقاق عن سائر أوروبا ، فلا تنقل إليها مبادئ الشيوعية كما تنقل جراثيم الأعداء . فكان أول عمل الزعيم البولندي الجديد للدولة البولندية الجديدة مناهضة الروس وانقراض دولتهم من أطرافها .

بلودسكي يجهز المشوبهة

إن تاريخ بولنده الحديثة ، ما قبل الحرب الماضية وفيها بعدها ، مرتبط أشد ارتباط بتاريخ زعيمها بلودسكي . نشأ هذا الزعيم في بولنده الروسية . ونشأ على كراهة الحكم القيصري ، ونشأ في محاولة لثورة لاغتيال القيصر إلى سيرا . وقبضوا معه على آخر اثنين ، ولصمهم لم يبقوه بل قتلوه . فلم ينس لينين ، ولم ينس بلودسكي . وفي سبيل كراهة القيصرية جنح بلودسكي إلى العمال ، حتى الروس منهم ، يؤثيهم على حكم ظالم فيهم . واسمهم رفيقا . واعتنق الاشتراكية مذهبا . ولكن يظهر أنه لم يمتنع الاشتراكية إلا كراهة للقيصرية ، فشكل عدواً للمدو حبيب .

ولكنه ما لبث أن أنال بولنده استقلالها حتى ظهرت كراهة خفية فيه للروس ، قياصرتها وعمالها . ففي نوفمبر عام ١٩١٨ دعاه بعض الشيوعيين بالرفيق بلودسكي . فقال لهم مؤثيا : « أيها السادة ، است رفيقاً بعد الآن . إننا اتجهنا أول الأمر وجهة واحدة ، وركبنا قطارا واحداً دهنته باللون الأحمر ، ولكني تركت من القطار ما بلغ في محطتي ، « استقلال بولنده » ، أما أنت فماترون به إلى أن

ما أشبه الليل بالماره

لاق جند أو عتاد ، ولكن في شخص القائد الفرنسي ، هنري هنري Henreys . وصبر الروس حتى قرعوا من جيوش الرأسمالية الثلاثة ، ثم انصرفوا ليعتصمون بالبلنديين . ولم يلبثوا طويلا حتى انكفأ ميزان الحرب ، فصار القالب مغلويا ، والمعدى عاديا . وقارب الروس قرصونيا ، عاصمة بولند ، ووقفوا عند أبوابها مثل وقعهم اليوم ، ولم يبق على دخولها غير يوم أو يومين .

ولم تستطع الحكومات القوية بولانده إمدادها ، وودت
توفلت . ولكن من محارب الروس منهم ، وجنودهم قد
جسوا القسم من بعد حرب صخرة . ومن يحمل الصغيرة إلى
بولانده ، والمال بأون أن يحملوها فيطعنوا بذلك نكث
الشمعة الصالحة التي رأت لهم في الأفق الشرق . أشنع عليهم
بعضى اللعش جديد ، ونحيي فيهم أملا كاذبا في الحياة ،
عز الجند ، وفزت الصغيرة . إذن في المشورة
اشكافنا . وبنت الحفاه إلى الولدين بشت عسكرة على

وأما الجبال الشهيرة ، الجبال وبحيرة ، وهو هو
الجبال الذي لجأت إليه فرنسا في عهد نابليون بعد انهزامها
ليدفع عنها آخر مرة ففشل . وهو هو نفس الجبال الذي
اختلفت في موته الرواة اليوم

وبلغ الرصاص أطراف فرسوفيا كابلنوها اليوم . وصارت الحرب سجدا . ثم كان النصر للروبيين . ألهم إياه خطأ في خطة القائد الروسي . فقد استبان قوة خصومه ، وأراد أن يأخذ عامتهم الفيا لا مواجهة ، فوزع قواته خلفت ، فاحت به المروعة .

إن ظروف هذه الحرب العالمية الحاضرة قد اختلفت عن ظروف أختها الماضية . فروسيا اليوم دولة في أول الحرب وآخرها صديقة . ولكن رجالها اليوم هم رجال الأمس . والمبادئ التي يمتثلونها اليوم هي نفسها التي اعتنقوها بالأمس ، إلا قليلا . وكذلك رجال الديمقراطية الغربية اليوم هم رجالها بالأمس ، وإنما أكبر سنًا ؛ وهم أهل البقيع ، ولرؤسهم قد يكونون أكثر شمالة مما كانوا . ومن الطابع الإنسانية الرذيلة أن الإنسان لا يستطيع أن يسلخ عن جلده ، ولو مرة واحدة في العمر ، كما تفسخ الثياب ؛ وأن الخلايا المحبة الموجبة في رأس هذا الإنسان لها صفة سحرة ؛ أن تحفظ بذكر المناقض حفظًا وثيقًا ، وتحفظ **الصفات** الفكر دهرًا مديدًا . وهوى الأنفس ليس كهوى الرحم فيها .

مع أن هذا لا يستغنى عن مناقشة الحاضر وأسياسها
من أسسها في عنوان الماضي القريب. فنماذج الحداثة
اليوم هي نماذج الحلف بالأدس مهما اختلفت أسماء الزعماء
واختلفت تواريخ الستين 11

إن روسيا أقدمت في تولده ، ثم أحجبت ، وكان
ليولده من هذا الإحجام من بعد إقامه بؤس وشقاء .
والبلقان ، كان في مؤخرة دروس للناس حتى بلغ
اللقا ، فأذا بمخاض إلى الأمام حتى يكاد يفرق الجباه !
والذي أودعه إنعام الروس .

ويعجول في فرنسا ، ينصره قوم ويقتله أقوام . وهو ينظر إلى الشرق تارة وإلى الغرب أخرى . وله عيتان تعاول الجمع بين الشرق ومغرب في آن . وله قاب إمبراطوري تعاول أن يجمع الدنيا كلها في مملكة واحدة . وهي مملكة صغيرة لا تسع لهذا .

وَلَمَّا نَسَقْنَا لَهُمُ الْبُيُوتَ وَهُوَ يُرْىٰ وَهُمْ يَخْلَعُونَ
أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكَ بَیِّنَةٌ مِّنْ قَبْلُ أَفَلَا تُعْقِلُونَ